٣٠ـ كن حَسَن الظن بالله وبالناس...

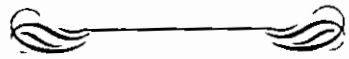

اعلم يا بني ويا بنيتي أنك ستجد الله تعالى كما تعتقد فيه وتظن به، إن ظننت به خيرًا وجدته، وإن ظننت به غير ذلك فلن تجد غيره، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ ".(١)

وعلى هذا يا بُني يكون الظن بالله على نوعين، منه ما هو حسن، ومنه ما هو سيئ .وحُسن الظن بالله تعالى، دليل على كمال إيمان العبد بالله تعالى، ومعرفته به حق المعرفة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللهِ ".(٢)

وهو بشارة السعادة في الدنيا والآخرة، لا تتحقق السعادة إلا به، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ قَالَ لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ".(٣)

وحُسن الظن يا بني لا يعني أن تترك العمل، وتقول: أنا أحسن الظن بربي. فمن ترك العمل وظن أن الله تعالى سينزله منازل الصالحين، ومن سبقت لهم الحسنى فقد أساء الظن بربه ، لأن الله لا يسوي بين من يعمل ومن لا يعمل، بين من غرته الأماني، ومن سهر الليالي.

(١) رواه الحاكم وابن حبان والدارمي .
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه.
(٣) رواه أبوداود.

إنَّ حُسْنَ الظن بالله يا بني أن تعمل وتجاهد وأنت ترجو من الله تعالى القبول والمغفرة، وأن يمن عليك ويتفضل، فرحمة الله تعالى لمن يتقرب منها، ويتعرض لها بالعمل الصالح الحَسَن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يَخْرُجُ رَجُلَانِ مِنَ النَّارِ، فَيُعْرَضَانِ عَلَى اللهِ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمَا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا كَانَ هَذَا رَجَائِي ، قَالَ : وَمَا كَانَ رَجَاؤُكَ؟ قَالَ: كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا ، أَنْ لا تُعِيدَنِي ، فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ". (١)

إن حسن الظن بالله يا بني أن تعمل وتجاهد وأنت تخاف أن لا يقبل منك عدل ولا عمل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون ٦٠].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُ اللهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ ، قَالَ: "لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ". (٢)

وإنَّ من حسن الظن بالله يا بني أن تعلم أنه الملك المستغني بذاته عن فعل عباده، وله مطلق الإرادة في أن يقبل من هذا العبد، ولا يقبل من الآخر، وأن يقدم ويؤخر من يشاء من خلقه ، وليس لأحد حق الاعتراض أو الرفض.

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم والبيهقي.

سُوء الظن بالله تعالى...

اعلم يا بني أن سوء الظن بالله تعالى من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب على الإطلاق.

وهو دليل على تمام جهل المخلوق بخالقه، وهو جهل يستدعي كل ذنب، ويجعل العبد في حالة جفاء وعداء مع الله تعالى.

ولذلك يجب على كل عبد أن ينظر في ظنه بربه، وما يعتقد فيه، وفي أي مكانة يُنزل العبدُ ربَه من قلبه ومعتقده؟ ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الصافات : ٨٧] .

لأن كل من يعتقد في الله تعالى ما ينتقص من كماله وجلاله، وما يستلزمهما من علم محيط لا حد له، وقدرة نافذة لا مانع لها، يخسر خسرانًا مبينًا، قال الله تعالى:﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

و" هذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يَخرج شيء من المعلومات عن علمه، فإنه يكون من الهالكين الخاسرين". (١)

حُسن الظن بالناس...

اعلم يا بني أنك ستنال حب الناس، ومودتهم، عندما يعلمون عنك، ويلمسون منك حُسن الظن بهم. أما إذا علموا أنك تسيء الظن بهم، كرهوك واجتنبوك. وصرت في جانب وهم في جانب، وكنت منهم في حذر، وكانوا منك في حذر. يرقب كل جانب الآخر. يتخوف كل جانب من الآخر. فأي مجتمع هذا ؟

---

(١)مفاتيح الغيب١٣/ ٦٢٥ .

لقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يظنوا ببعضهم خيرًا، لأن ذلك هو اللائق بجماعة واحدة. تعبد ربًا واحدًا، وتدين بدين واحد، أنزل الجميع بمنزلة النفس الواحدة، والجسد الواحد، فمن يسيء لأحد فكأنما أساء إلى نفسه، قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور : ١٢] .

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ". (١)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ ". (٢)

كما أمر الله تعالى المؤمنين من اجتاب الظن السيء ـ وصفة السوء هي الغالبة على الظن ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ... ". (٣)

ولا يُفهم من ذلك أنه من الواجب عليك أن تُحسن الظن في كل إنسان، في الخيِّر والشرير، في المُحسن والمسيئ، في كل الناس، وعلى كل حال.

لأن بعض الظن السيء يكون من الحزم والفطنة، ورجاحة العقل.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح البخاري - كِتَاب الصَّلَاةِ - أَبْوَابُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ .

(٣) متفق عليه.

فمثلًا: من يتبع الناس في كل أقوالهم وأفعالهم، ويفترض في الجميع حسن النية، ويصدق أخبارهم، بلا تفكير أو نقد لها، قد يؤدي به ذلك أن يكون حيث يكره.

ولذلك قالوا: سوء الظن من الحزم، وقالوا أيضًا: سوء الظن عصمة.

من فوائد حسن الظن...

١ـ طريق موصل إلى الجنة.

٢ـ دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ـ يولد الألفة والمحبة بين المسلمين.

٤ـ يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق التعاون بين أفراده.

٥ـ برهان على سلامة القلب وطهارة النفس.

٦ـ علامة على حسن الخاتمة.

٧ـ لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله، ومدى مغفرته ورحمته.

٨ـ يحافظ على أعراض المسلمين". (١)

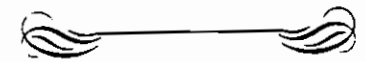

(١) نضرة النعيم ٥/ ١٦٠٨.

obeikandl.com